بيعة رضوان جديدة

في وقت أعلنت فيه صحيفة غيلاندز بوستن الدانماركية والبعثات الدبلوماسية الدنمركية في أنحاء إسلامية وعربية اعتذارها وتأكيدها على احترام مشاعر المسلمين الذين سخرت بنبيهم في رسوم كاريكاتورية عام ٢٠٠٦، أخذت حدة الغضب الإسلامية في الانخفاض، حتى في السعودية التي قاد مواطنوها عبر وسائل الاتصال والمنتديات الحملة بصورة دفعت شعوباً إسلامية أخرى إلى ترديد صداها.

غير أن السعوديين الذين امتنوا لقيادتهم استنكارها الشديد للنيل من خاتم الأنبياء ﷺ لا يزالون يطالبون بأكثر من مجرد اعتذار وصفه بعضهم بـ "المراوغ والخجول".

ومع أن الإجماع ساد بين السعوديين على أهمية محاسبة الجريدة التي نالت من شخص نبيهم بطريقة سلمية وحضارية قبل تراجعهم عن قرار المقاطعة، إلا أن أصواتاً آخذة في الازدياد اتجهت إلى الدعوة بعقلنة حملة المقاطعة وتأطيرها بعمل مؤسسي، يترجم في دعوى قضائية أو تجريم دولي، وهذا الأخير تعهد به

وكيل وزارة الخارجية في السعودية الدكتور نزار عبيد مدني، وكشف عن تشاور بين منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية بمتابعة سعودية لتدويل موضوع رفض الإساءة إلى النبي العظيم.

ومن بين هذه الأصوات مشككون في جدوى المقاطعة نفسها على اعتبار ضررها أكثر من نفعها، إذ تعتقد هذه الشريحة أن أصوات النابذين للبضائع الدنمركية قد يسيء المجتمع الأوروبي فهمها، ولهذا ينصح الدكتور صالح الوهيبي الحكومات الإسلامية بـ "لزوم الحياد في مقاطعة شعوبها البضائع الدنمركية".

ويأتي ذلك في وقت لوح فيه الاتحاد الأوروبي بلي ذراع الحكومات المشجعة على المقاطعة بقوانين منظمة التجارة العالمية.

وطائفة من هذا الفريق لا تنتقد فقط عشوائية المقاطعة وأنها أصبحت ميداناً للمزايدات بين الشركات حتى تلك التي تبيع الأسماك السعودية (!!)، ولكنها أيضاً ترى منتجات الدولة المطلوب مقاطعتها في السعودية، إنما هي في واقع الأمر لوكلاء سعوديين ستلحقهم أضرار بالغة من دون ذنب.

وربما هذا الذي دفع الشركات السعودية المتهمة بأنها تبيع بضائع دنمركية إلى تكذيب دعاوى المطالبين بالمقاطعة، الأمر الذي أوقع رجل الشارع العادي في حيرة.

فالمواطن إبراهيم (٣٥عاماً) أمام أحد الأسواق المركزية في شمال الرياض قال لـ "الحياة": "أصبحت محتاراً بين ما يشاع في

المنتديات وعبر رسائل الجوال من أن الشركة (س أو ج) أصولها هولندية، وما بين نفي الشركة ذلك في إعلاناتها عبر الصحف المحلية، فأنا لدي رغبة أكيدة في مقاطعة أي بضاعة دنمركية، وفي الوقت نفسه اعتادت أسرتي على استخدام بعض المنتجات المختلف فيها"!

أما أصحاب المراكز التجارية المتوسطة فإنهم ليسوا قلقين كثيرا كما يقول عامل بقالة في حي النزهة رحمة الله إقبال "لا مشكلة لدينا، فمعظم البضائع التي يقاطعها الناس لدينا في السوق بدائل عنها".

أما كيف تصرفت الشركات في المنتجات الدنمركية التي لديها سابقاً، فإن الاعتقاد السائد بين أصحاب المراكز الكبرى أن "المقاطعة لن تدوم طويلا، وبالتالي فإننا – كما يقول أحدهم – قمنا بتخزين البضائع خارج المراكز التجارية، لإعادتها وقت انتهاء المقاطعة".

أما الذي يعده فيصل محمود (٢٢ عاماً) من إحدى الجمعيات الخيرية حلاً جيدا هو " ما قامت به إحدى الشركات الوطنية التي شحنت إلى الجمعية بعض البضائع التي يقاطعها الناس، وطالبتنا بتوزيعها على الفقراء".

مقاطعة بصورة قبر النبي!

لكن الشاب عبد الله العثمان (٢٨عاماً) فإنه كما يقول لـ "الحياة" قرر أن يتفاعل مع حملة المقاطعة بطريقة أجدى في نظره وأنفع.

ويضيف: "عندما صعدت وسائل الإعلام وبعض الدعاة الأخيار الحملة ضد الصحيفة الدنمركية وطالبوا بمقاطعة البضائع، فكرت ماذا يسعني عمله من أجل نصرة حبيبي رسول الله؟ كان السؤال شديد الإلحاح علي لأنني بالصدفة كنت في إجازة عيد الأضحى في المدينة المنورة وزرت قبره عليه الصلاة والسلام، وعدت إلى مدينة الرياض وكل قلبي اشتياق وحب لهذا الرسول العظيم، فكم تمنيت أن أراه أو أتحدث إليه، وكم سحت بخيالي أمام قبره محاولا خرق كل الحجب لأتخيل وجهه المنير وسمته الجميل".

وأضاف: "قضاء الإجازة في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة آثار الصحابة وغزواته معهم جعلتني أعود إنساناً آخر أكثر حباً وقرباً من هذا النبي الكريم، لذلك قررت اللجوء إلى الأعمال الفنية في أسواق مدينة الرياض أبحث عن أي لوحة تحمل دلالة ترمز لهذا النبي لأحيي ذكره في أسرتي وبيتي، بحثت وكان الله في عوني عندما فاجأني عامل في إحدى المحلات بأن لديه لوحة جميلة لـ "قبر النبي"، طرت فرحاً بها واشتريتها من دون تردد وعلقتها في صالة الجلوس، فكأنه عليه الصلاة والسلام أحد جلسائنا، نلتفت إلى قبره فنصلي عليه ونذكره ويزداد حبنا له".

طفلة تظن النبي حياً!

العثمان الذي يوصي القراء بالاقتداء بتجربته قال إنه اكتشف أن معلومات ابنتيه فاطمة (٩ أعوام) وعائشة (٨ أعوام) لم تكن

جيدة عن نبيهما، فبمجرد أن أخبرهما بأن اللوحة تشير إلى قبر النبي (ص) بدأتا تسألانه كثيراً عنه وعن حياته، واكتشف أن ابنته الصغيرة لا تزال تعتقد أن الرسول لا يزال حيا!

وزاد: "أحزنتني ابنتي الصغيرة لما قلت لها: "هذه صورة لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم" فنظرت إلي بدهشة وحزن قائلة: بابا الرسول مات؟! فأجبتها يا حبيبتي مات قبل سنين كثيرة جدا ولكنه حي في الجنة وفي قلوبنا" فصمتت وبقيت حزينة دقائق!".

أياً كان اختلاف هذا أو ذاك في الكيفية التي يرد بها المسلمون على من أساء لنبيهم، تظل الحقيقة أن الإساءة الدنمركية أسفرت عن شيء جميل هو: حب مختلف فئات المسلمين لخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام، بعد فترة من الركود أو همنا الإعلام العربي فيها أن نانسي عجرم وهيفاء وهبى وحدهما من يعد أحبابهن بالملايين!!